مظاهر التشاؤم عند مدرسة أبوللو

اعداد

محمد فضل أحمد عيسى

طالب دكتوراه بالكلية

إشــراف

أ.د : يوسف نوفل استاذ الادب العربي الحديث بكلية البنات جامعه عين شمس

أ.د :عزة أبو النجاة استاذ الادب العربي الحديث بكلية البنات جامعه عين شمس

ملخص البحث باللغة العربية

لقد قامت مدرسة (أبوللو) في تنشيط حركة الشعر وإبراز كثيرين من شعراء عصرنا الحديث فعملت على بعث الشعر الحي الصادق، المعبر عن الشعراء الشباب وطموحاتهم، وأتاحت لهم فرصة التعبير عن مكنونات أنفسهم وظهور شخصياتهم على الساحة الأدبية، كما رسخت أسسا ومفاهيم نقدية جديدة قريبة من روح العصر من خلال الآراء التي تبنتها والمفاهيم التي نادت بها، لقد عمَّق شعراؤها مجرى الشعر ووسعوا ميدانه واقتربوا به من الواقع الذي يحيونه، فضلا عما أضافوه إلى الشعر من تجديدات في شكل القصيدة ومضمونها وأسلوبها .

لقد سادت النزعة التشاؤمية لدى شعراء مدرسة أبوللو، وتمثلت مظاهر التشاؤم في الآتي :

أولا : حب الموت وكره الحياة - ثانيا: الطبيعة مظهرا تشاؤميا - ثالثا: عدم الثقة بالنفس والناس

كلمات مفتاحية : مدرسة أبوللو الشعرية – مظاهر التشاؤم- الخوف من المجهول- حب الموت- كره الحياة- الطبيعة مظهرا تشاؤميا- عدم الثقة بالنفس والناس

مـقــدمـــة

شهد الأدب في العصر الحديث نهضة شاملة في مناحيها المختلفة، سواء أكان ذلك في مجال الشعر أو النثر، وتخلص من الضعف والوهن، وكان لهذه النهضة أثر واضح في الشعر، وذلك لظهور العديد من المدارس الشعرية في العصر الحديث، وكان من أهم هذه المدارس مدرسة (أبوللو) الشعرية التي هامت في رقى الشعر ، و هدفت إلى الارتقاء بمستوى الأدب العربي وتخليصه من قيود الصنعة والمحاكاة التي ارتكس فيها طوال عصور مضت، وتوجيهه للتعبير عن مشاهد الطبيعة، والعواطف الإنسانية في تعبير حي مؤثر، يزخر بالخيال البديع والصور الأدبية المبتكرة.

ومن هذه الحركات مدرسة أبوللو[١] التي أتت بعد مدرسة الديوان التي أنشأها العقاد والمازني وشكـري بأكثر مـن عشر سنوات. والفـضل في إنشاء هذه المـدرسة يعـود إلى الشاعر الأديب أحمد زكي أبي شادي (1892- 1955) م الذي لم تصرفه اهتماماته العلمـية عن الأدب، والتفـكير في إنشاء مـدرسة تحتضنه وتهـتم به، وقد أعـلن أبو شـادي مـيلادها في القاهـرة في شهـر سبتمبر عام 1932م، وصدرت عنها مجلة تحمل اسمها، وتنشر أدبها، وتذيع أفكارها وآراءها، هي مجلة (أبوللو)

وفي افتتاحية العدد الأول مـن أعدادها كتب أبو شادي يقول:" نظراً للمنزلة الخاصة التي يحتلها الشعر بين فنون الأدب، ولما أصابه، وأصاب رجاله من سوء الحال، لم نتردد في أن نخصه بهذه المجلة التي هي الأولى من نوعها في العالم العربي، كما لم نتوان في تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هي" مدرسة أبوللو" وذلك حبا في إحلاله مكانته السامقة الرفيعة، وتحقيقا للتآخي والتعاون المنشود بين الشعراء، وقد خلصت هذه المجلة من الحزبية، وتفتحت أبوابها لكل نصير لمبادئها التعاونية الإصلاحية"[٢]

وكانت جلساتها حافلة بالمناقشات الأدبية والنقدية لتطوير الأدب، ولاسيما الشعر. يقول أبو شادي:" وقد راعينا أن ننزه المجلة عن طنطنة الألقاب،حتى تظهر علي مثال أرقى المجلات الأوروبية، وحصَّنَّاها ضد عوامل التحزب والغرور، فلا غرض لها إلا خدمة الشعر مع حرصنا الدائم علي نشدان الكمال" [٣]

وقد كانت لآرائهم في الشعر والنقد آثارها في الحركة الأدبية، وقد عبر محمد مندور عن ذلك بقوله :" لا نستطيع أن ننكر أن حركة أبوللو قد أحدثت نهضة شعرية كبيرة، وساعدت علي تبين الاتجاهات والمذاهب في الشعر المصري الذي عاصر هذه الحركة والذي تلاها، وقد أدت إلى ذلك التفاعل الكبير وإلى الفورة الشعرية التي أغنت شعرنا المصري بعدة اتجاهات " [٤]

---

(١) تعني كلمة (أبوللو) رب النور والموسيقى والشعر والفنون الجميلة عند الإغريق، وهذا الاختيار يعني ارتباط تلك المدرسة بالأسطورة الإغريقية، والأسطورة: تطور خيالي لنشأة الكون وظهور الحياة واستمرارها ، ولا تعتمد الترابط المنطقي بين الأحداث دائما، ولا التسلسل الزمني الذي اعتدنا عليه في حياتنا اليومية، والأسطورة حافلة بقصص الصراع، وفيها رموز وإشارات تتدرج بين الجلاء والخفاء، مثل متون الأهرام القديمة التي تعبر عن الخلود واستمرار الحياة بعد الموت، وفيها تشخيص الجمادات، فمثلا الفرعون المتوفى يخاطب الريح. ينظر فايز علي، الرمزية والرومانسية في الشعر العربي(دراسة للأبعاد الأسطورية) ، ط2003 ، د. ت، ص48.

(٢) د. أحمد زكي أبو شادي، مجلة (أبوللو)، ع1، كلمة المحرر، ط سبتمبر 1932، مطبعة التعاون، القاهرة، ص 5

٣) مجلة (أبوللو)، ع1، ص7

٤) محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي، دار نهضة مصر، القاهرة (د.ت)، ص7

أسباب اختيار الموضوع

١ - إن هذه المدرسة ازدهر فيها الشعر واتسعت دائرته؛ فقد ضمت كوكبة من أبرز الأسماء في الشعر العربي؛ أليست هذه المدرسة التي ضمت أحمد زكي أبى شادي، وإبراهيم ناجي، وأبى القاسم الشابي وعمر أبى ريشة، ومحمود حسن إسماعيل، وأحمد رامي، وعلي محمود طه وغيرهم الكثير؟!

٢ - يلاحظ عند شعراء هذه المدرسة الإغراق في العاطفة الصادقة، والميل إلى التشاؤم والاستسلام للآلام واليأس، ويتضح ذلك من قراءة عناوين بعض الدواوين مثل ديوان محمود حسن إسماعيل: أين المفر، وديوان" الشفق الباكي" و" أنين ورنين" لأحمد زكي أبى شادي وديوان "وراء الغمام" والطائر الجريح "لإبراهيم ناجي"، و"الملاح التائه" لعلي محمود طه وكلها ظهرت مع بداية تكوين هذه المدرسة، وخلال الأعوام التي توالى فيها ظهور مجلتها، مما جعل بعض الدارسين يرى أن الرومانسية في الوطن العربي بلغت ذروة مجدها في مدرسة أبوللو" [١]

٣ - المآسي والنكبات التي تعرض لها هؤلاء الشعراء؛ إذ صبغتهم بصبغة التشاؤم تلك التي انعكست– بوضوح– في دواوينهم، من هذه النكبات المرض، الاستعمار الذي حطم آمال الشعوب وكان له عظيم الأثر في اليأس والفقر والحرمان. فيلاحظ من خلال التتبع للسير الذاتية لهم أن جميعهم كانوا في ريعان الشباب في العقدين الثالث والرابع من العمر، وهو سن الحيوية والتطلع إلى استشراف آفاق المستقبل، فأصغرهم سنا وقت صدور مجلة (أبوللو)صالح جودت إذ كان عمره عشرين سنة.

خطة البحث :

المقدمة :

أسباب اختيار الموضوع

التمهيد :

الدراسات السابقة :

المبحث الأول : حب الموت وكره الحياة

المبحث الثاني : الطبيعة مظهرا تشاؤميا

المبحث الثالث: عدم الثقة بالنفس والناس

---

[١]) شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص 73، محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي، ص 8

تـــمهـــيد

نشأة مدرسة أبوللو:

1- ظهرت هذه المدرسة في بداية العقد الرابع من القرن العشرين بعد أن احتدمت المعركة الأدبية بين شعراء الديوان وشعراء الإحياء، وبعد أن انفرط عقد مدرسة الديوان بتوقف عبد الرحمن شكري عن قول الشعر، وانصراف المازني إلى الصحافة والقصة والمقال، وانشغال العقاد بأنواع الفكر والأدب وأصبح الشعر عنده في المرتبة الثانية، وبعد أن غرق شعر الديوانيين في المبالغة الذهنية الجافة والتفلسف. في هذا الواقع الشعري ظهرت مدرسة أبوللو [1] اختار أبو شادي اسم (أبوللو) ؛لأنه أراد أن تحمل المدرسة ومجلتها اسما عالميا، فكان ظهورها بهذا الاسم " جرأة نادرة فاقت كل جرأة المجددين مجتمعين، واختيار هذا الاسم يدل على أن أبا شادي ينظر إلى الأدب بمنظور عالمي ينزع إلى التجديد

2- اتخذت هذه المدرسة من (مُطران) أباً روحياً لها، وأفادت منه ومن الصراع الأدبي بين الإحيائيين وجماعة الديوان،مما جعلها تتجه إلى التجديد والاهتمام بالعاطفة الجياشة. وتأثر شعراؤها بالشعر الرومانسي الأوروبي، وبخاصة الإنجليزي نتيجة ثقافتهم، وإجادتهم اللغات الأجنبية [2]، واطلاعهم علي الآداب الأوروبية. وهذا الانفتاح علي الآداب الغربية جعل أبا شادي يكثر من الشعر المترجم، بل إنه عقد لذلك المسابقات، مما جعل كثيرا من شعراء أبوللو يتنافسون علي نشر نتاجهم من الشعر المترجم ما سنحت لهم فرص النشر في المجلة، وهذا جعل الآداب الغربية " غير خافية علي شعرائنا، ولم يعد بينهم وبينها هذا الحجاب الذي كان سائدا في الزمن الماضي"[3]

الدراسات السابقة :

أولا: كتاب عبد العزيز الدسوقي (الدكتور): جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر- القاهرة 1971.

ثانيا : دراسات عامة في الأدب الحديث يتخللها فصول أو مباحث تتعلق بمدرسة أبوللومنها :

١ -الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر : تأليف د.عبد القادر القط
٢ -القصيدة الرومانسية في مصر من (1932-1952) تأليف د. يسري العزب
٣ -جدلية الحياة والموت في شعر أبي القاسم الشابي تأليف د. لطيف محمد حسن

---

(١) أنكر بعض الدارسين أن يطلق عليها مدرسة؛ لأنها تضم أدباء وشعراء لا يخضعون لتيار أدبي واحد، وأصروا علي تسميتها بالجماعة أو الجمعية، كما نلاحظ عند الدكتور عبد العزيز الدسوقي في كتابه جماعة (أبوللو) وأثرها في الشعر الحديث. ولكن إطلاق المدرسة عليها جائز إذا تم النظر إلى أثرها في تطوير القصيدة الشعرية والتجديد في بنائها الفني والداخلي، واحتضانها لمواهب الشعراء الشباب وتنميتها، والاتجاه إلى تشجيعهم بنشر إنتاجهم، ووضع أهداف محددة سارت علي نهجها . ورغم قصر عمرها، فإن لها عظيم الأثر والفاعلية في مسيرة الشعر الحديث .

٢) كان معظم شعراء (أبوللو) متأثرين بالثقافة الغربية إلى جانب تأثرهم بالتراث العربي ، وذلك من خلال دعوتهم إلى التحرر والانطلاق ، فخلقوا بذلك جوا شعريا عاما، لا يقتصر في وحيه علي التراث العربي القديم، بل يتطلع أيضا إلى الآداب الأجنبية ويستفيد منها، وأثَّر هذا أيضا علي الشعراء اللذين لم تتح لهم معرفة اللغات الأجنبية وآدابها ، وهذه فضيلة من فضائل (أبوللو)إذ نقلت روح الثقافة العالمية لإنتاجها الفني ، ولفتت إليها الأنظار ، ينظر محمد مندور ، الشعر المصري بعد شوقي، ص 129

٣) شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص 71

المبحث الأول " حب الموت وكره الحياة "

موت:الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل علي ذهاب القوة من الشيء. منه الموت خلاف الحياة [١] والموت: السكون وكل ما سكن فقد مات يقال: ماتت الريح أي سكنت، وقد يستعار الموت للأهوال الشاقة: كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية والموات: بالفتح ما لا روح فيه، والموات أيضا: الأرض التي لا مالك لها من الآدميين ولا ينتفع بها أحد[٢]

إنَّ شعور حب الموت دائما يجعل الإنسان مبغضا للحياة بكل ما فيها ويؤدي إلى ضياع الإحساس بالرضا، وعدم الجدوى من إنجاز أي عمل والتردد في صنع القرار، وترك كافة الأمور معلقة في الهواء دون حسمها ويؤدي إلى الاكتئاب، وقد قسم علماء النفس الاكتئاب إلى نوعين أولهما: اكتئاب داخلي المنشأ ويحدث بشكل تلقائي وبدون وجود سبب خارجي، وثانيهما: اكتئاب خارجي المنشأ ويصيب الإنسان نتيجة تعرضه لتجربة اجتماعية أثرت في نفسه ونظرته تجاه الآخرين، وبالتالي تجد الأفكار والهواجس مرتعا خصبا كي تتفاقم وتنتشر وتتضاعف بحيث تشوش وتشوه أفكارا أخري إيجابية ومنطقية وعقلانية[٣]

يقول محمود حسن: من بحر الرَّمل :

كلما نشكو عـذابَ المِحَـنِ تهتفُ الشكوى على بؤسِ الشفـاه

راحة الموت وشطآن القبور مـرقد نـبحـثُ دومـا عـن لـقاه

عدمٌ يمـشي وأنَّات تـسـيرُ والـورى يخـبط ليلا فـي كـراه [٤]

لقد وصل الحال أن يرى الموت راحة، وهل للقبور شطآن ؟! فهو تعبير يوحي بأنهم غرقى يستعذبون الموت ويفرحون بقدومه كما يفرح الناس عند ذهابهم للشواطئ للهو واللعب

يقول الشابي: واصفا معاناة الحياة: من بحر الكامل

فوجدت أعراس الوجود مآتما ووجدت فردوس الزمان جحيما [٥]

ومن عجيب الأمر أن تكون الأعراس الدالة علي الفرح والحبور في نظرة مأتما، وأن يكون فردوس الزمان في نظره جحيما أليس هذا دلالة علي الثنائيات الضدية؟! ورصدا لحالة من الصراع الداخلي لدي الشابي، فكل شيء عنده يسير في اتجاه واحد لا يتخطاه؛ إنه اتجاه التشاؤم المفرط.

وفي قصيدة " في ظل وادي الموت" يتـحدث عن مـفهوم الموت بشكل أعـمق مـن معناه الظاهري المفهوم لدى العامة من الناس، فمعنى الموت عنده :" هو أن تصبح الحياة فارغة من المعنى، أن تصبح بلا دلالة ولا غاية مـعينة، وعندما تـمشى الحـياة بلا غـاية، ويتأمـل الإنـسان الحـياة فـيجدها هوة فارغة صامتة لا تدل علي شيء ... هنا يولد الموت، ويظل يصنع البداية والنهاية" [٦]

---

(١) ابن فارس،معجم مقاييس اللغة ،ج1، منشورات دار الكتب العلمية 1999م ،ج5، ص283

(٢) ابن منظور، لسان العرب،ج14،ص148

(٣) علي عسكر، ضغط الحياة وأساليب مواجهتها ، ص 132

٤) محمود حسن إسماعيل ، ديوانه ، ص 232

(٥) الشابي، ديوانه، قصيدة صوت تائه ، ص 152

٦) رجاء النقاش، أبو القاسم الشابي، شاعر الحب والثورة ، دار القلم ، بيروت، لبنان ط 1 1971، ص 61

يقول الشابي: من بحر الخفيف

فـي ظــلامِ الفَـنَاءِ أَدفُـنُ أَيَّا مي ولا أستطيعُ حـتَّى بكاها
وزهورُ الحياة تهوي بِصَمْتٍ مُحـزنٍ مُـضْجِرٍ على قدميَّا
جَفَّ سِحْرُ الحَيَاةِ يا قلبيَ البا كي فهيَّا نُجَرِّبُ الموتَ هيَّا [١]

تفسر نازك الملائكة كلمة نجرب هنا على أنها رغبة من الشاعر؛ ليجعل الموت لا فعل خضوع سلبي، بل فعل إرادة يجري عن وعي،" فقد كانت تجربة الموت تملك بالنسبة للشابي كل ما تملكه التجارب الحيوية من متعة مبهمة وغموض مُغر... نجده يذكر الموت عندما يتحدث عن الجمال والحياة والشباب والأمل والربيع... كان يؤمن بأن الحياة العميقة الكاملة لا تصل قمتها من الإدراك والوعي حتى تندغم بالموت"[٢]

" لقد خلت الحياة من المعنى وخلوها من المعنى هو الموت فلماذا لا يجرب الشاعر الموت " إن الموت عنده هو تجربة كبيرة قد تكشف عن أشياء جديدة "[٣]

ويعتقد أن الرومانتيكيين كانوا يميلون إلى التشاؤم بشكل عام؛ لأن الحياة في نظرهم لا تسير كما يبغون، فدائما ما يتطلعون إلى عالم مثالي ، يصعب تطبيقه أو حتى رؤيته علي هذه الحياة المليئة بالجراح والآلام والمصاعب، فكانوا يريدون التخلص من هذا الوجود – فكان التغني بالموت – هو السبيل الوحيد لديهم [٤]. لديهم[٤]. وشعراء أبوللو عامة يدعون إلى:" الخلوة والتوحد مع الطبيعة، والبعد عن المجتمع وضوضائه، وشروره وآثامه،والحنين إلى الموت، والارتياح إلى لقائه" [٥]،على أن تعليل الشعراء لفكرة الحنين إلى الموت تكشف عن نزعة طبيعية؛ فالرومانسيون انفعاليون، وهذه المبالغة من جانبهم في بذل القوى النفسية تؤدي بالشاعر إلى أن يستنفد قواه الروحية والشعورية في بضع سنين، ثم يقف لاهثا فجأة، ويضطر إلى أن يموت، فالانفعالية ضرب من الاحتراق؛ لأنها تجعل الشاعر ضعيفا إزاء مظاهر الحياة التي تحيط به، فكل جمال يعصف بقلبه، وكل اتساق يملأ مشاعره بالحماسة الطافحة، كما تصبح الأشياء المحيطة بالشاعر أغلى من حياته نفسها. وهكذا كان الانفعال أول طريق إلى الموت؛ لأن رصيد الإنسان من الطاقة العاطفية محدود، بحيث إذا بالغ في صرفه انتهى إلى إفلاس انفعالي مبكر. وهذا الإفلاس هو الباب المؤدي إلى الموت"[٦] فنازك الملائكة هنا تذكر سببا قـويا من أسـباب الانفـعالية المـؤدية إلى الموت، وهــو أن الشاعر الرومانسي ينشد المثالية حيثما وجد، ويـمنح الأشياء قيما جــمالية أكثر مما يمنحها الفرد العادي، ويؤدي هذا المنح إلى الموت. والشاعر يعتبر أن الموت راحة فيتمناه قائلا: إنه لم ينل إلا البؤس والشقاء في حياته. ويقول أبو ريشة : من بحر الخفيف

يا فـؤادي ألا تزالُ كئيبا شاكيا باكيا علي غير جدوى

---

١) الشابي، ديوانه، ص 199

٢) نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر،ص271

٣) الشابي، ديوانه، ص 124

٤) ريتا عوض، أعلام الشعر العربي الحديث، ص 25

(٥) د. محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، ط الدار المصرية اللبنانية 1995، ص 156

٦) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار الآداب، بيروت 1969، ص 276

لا تكن ظالما فإنك إنْ مِتَّ تركت الآلامَ من غير مأوى[١]

فهذه المقطوعة تصور لحظة شعورية سريعة حيث أدت الوحدة بالشاعر إلى مخاطبة فؤاده؛ من خلال تصوير الفؤاد بالكآبة والشكوى حتى إنه أصبح ملاذا للآلم بمختلف أشكاله وبموت هذا الفؤاد لا يكون للآلام مأوى، وقد استطاع الشاعر من خلال استخدامه لكلمة الفؤاد أن يبين أن هذه الحالة ملازمة له، ولم يستخدم القلب؛ لأنه من التقلب وعدم الثبات؛ بل استخدم الفؤاد معتمدا على أسلوب الحوار؛ إذ قام بتشخيص الفؤاد ومحاورته، وكأنه كائن حي وهذا ما عمَّق الإحساس بمرارة الضيق من الزمن.

فالشاعر استخدم أداة النداء (يا) مخاطبا فؤاده علي عادة الشعراء الرومانسيين الذين اتحدوا مع الطبيعة، وبثوها شكواهم وأنينهم، فهم يخاطبون ما يَعقِل وما لا يَعقِل، فينزلونه منزلة العاقل، فالشاعر يطلب من قلبه طرد الكآبة وعدم الشكوى والبكاء، ثم بعد ذلك يقوم الشاعر بتعليل فيه شيء من الغرابة حيث يؤكد أن الآلام لن تجد لها مكانا تسكنه إن مات قلبه كمدا. وهذا ظلم كبير للآلام! وأي آلام لفتى في مثل سنه، وشبابه، وفتوته، وقوته، وشاعريته؟ أهي أحلام الشباب لفت رأسه وعبثت بقلبه وخياله؛ فأراد تحقيقها جملة في لمح البصر فإذا لم يستطع بلغ إليه اليأس والحزن وبكى وتمنى الموت ؟!" [٢] يقول الشابي: من بحر المتقارب

إلى المَوْتِ يا ابنَ الحَيَاةِ التعيسَ ففي الموتِ صَوْتُ الحَيَاةِ الرخيمْ

إلى المَـوْتِ إن عَـذَّبَتْكَ الدُّهـورُ ففي الموتِ قَلْبُ الدُّهورِ الرَّحيـمْ

إلى المَوْتِ فالموتُ رُوحٌ جـميلٌ يُرَفْـرِفُ مِـنْ فوقِ تِلْكَ الغُيومْ [٣]

وأعتقد أن الشابي من شدة إحساسه بدنو أجله وقربه من الموت كرر الكلمة ست مرات في ثلاثة أبيات شعرية،ولهذا التكرار دلالات منها: أن فكرة الموت مسيطرة عليه ويتمناها من كل قلبه وتهفو إليها نفسه كما تهفو نفوس العامة إلى الحياة وملذاتها ولقد وصفه بأنه روح جميل واستخدم الشاعر لفظة (الغيوم) الدالة علي أن حياته غير مستقرة مليئة بالضبابية وعدم الوضوح، ثم يواصل أشعاره عن الموت قائلا: من البسيط

والموتُ كالمَارِدِ الجبَّارِ مُنْتَصِبٌ في الأَرضِ يَخْطُفُ من قَدْ خانَهُ الأَجَلُ [4]

ويقول أيضا: من المتقارب

هو الموتُ طيفُ الخلودِ الجميلُ ونِـصْفُ الحـيَاةِ الَّذي لا يَنُوحْ

هـنالك خَلـف الفضاء البعـيد يعيش المنون القوي الصبوح [5]

فالشاعر يعد الموت هو الخلاص الوحيد من ضنك العيش وبؤسه حيث يشبهه بإنسان قوي يفتح له الأفق لعيش آخر غير هذا العيش البائس. ويقول أيضا: من بحر المتقارب:

---

(١) عمر أبو ريشة، ديوانه، ص 60

[٢] ينظر سامي الدهان، مرجع سابق، ص 312-316

٣)الشابي، ديوانه، ص 58

٤) الشابي، ديوانه، ص 127

(٥) الشابي، ديوانه، ص 64

وقَفْتُ وحوْلي غديرٌ مواتٌ تمادتْ به غَفَواتُ الكُهوفْ [1]

فالشاعر في معاناة فهو يقف وحوله مياه هادئة تسير وكأنها في نظره تسيل بلا معنى ولا طائل.

لقد علقت نازك الملائكة علي بعض شعراء الموت، وحللت علاقة كل منهم بالموت فرأت أن بعض الشعراء الغربيين كانوا من المفتونين بالموت وقال أحدهم:" الشعر والمجد والجمال أشياء عميقة حقا، لكن الموت أعمق،الموت مكافأة الحياة الكبرى" [2] ثم تأتي لذكر الشابي فتقول:"تجربة الموت لديه تجربة حيوية لها من الحنقة المبهمة، والغموض المفرد، وذكرت قصيدة له قال فيها: من بحر المديد

فلِمَنْ كُنتِ تنشدين؟ فقالتْ للضياءِ البنفسجيِّ الحزينِ

للضَّبابِ المورّد المُتلاشي كخيالاتِ حالمٍ مفتونِ

للشَّبابِ السَّكرانِ للأَمَلِ المعـ بود لليأْسِ للأَسى للمَنُونِ [3]

وجاءت علي ذكر شاعر ثالث هو (محمد عبد المعطي الهمشري) [4] الذي كان إحساسه بالموت هو أكثر تميزا من الشابي فهو وَلِهُ بالغناء للموت لدرجة أنه نظم فيه ملحمة كاملة بعنوان: شاطئ الأعراف، والقصيدة تكاد تكون موجهة إلى الموت لا أثر فيها للحسرة ولا للذكرى، وكأن الشاعر يلتذ بالموت [5]

فشاطئ الأعراف شاطئ خيالي يقع خلف أسوار الخيال ويشرف علي عالم الموت، ولقد ذكر في مقدمتها صدى لخلجات فؤاده المنهك وتجاربه الحزينة مما يوحي بأن أحداث القصيدة كلها تسبح في عالم الخيال الذي تتلاقى فيه نفس الشاعر مع الآلهة في رحلة إلى عالم مجهول حتى يصلا إلى شاطئ الأعراف، وتأخذ القصيدة عنوانها من كلمة الأعراف القرآنية التي تشير إلى المكان الفاصل بين الجنة والنار، وجعلها الهمشري أعرافا تفصل بين الحياة والموت، وقد استلهم الشاعر القصيدة من مراقبة نهر النيل فوجد أن:" النيل لم يكن غير نهاية الحياة والموت في هذه الأعراف، والظلمة المروعة التي تألفها نفسي هي رهبة الأبدية"[6]، ويصف الشاعر رحلته الخيالية التي يقوم بها في زورق سحري تبحر فيه ربة الشعر معه، ويكرس بضع أغان لتمجيد الشعر والشعراء، وتنتهي القصيدة حزينة بمـــوت الشاعر المُغني

يقول: من بحر الخفيف :

بَعَثَ الشِعرُ مِن لَدُنـهِ نَسيماً فائِحَ العِطرَ طَيِّبَ النَغماتِ

هَزَّ قَلعَ الصِبا فَأَيقَظَ فِكري فَهَفَت بي سَفينَةُ الذِكرَياتِ

---

[1]) السابق، ص 187

([2]) نازك الملائكة، قضايا الشعر العربي، ص306

[3]) الشابي، ديوانه ، ص 175

٤) مما يلاحظ أن د. عبد العزيز شرف في كتابه الهمشري شاعر (أبوللو)(دراسة وقصائد) ط دار الجيل، بيروت 1990م ، دائم الإشارة إلى نسب الهمشري إلى جماعة الديوان. إذ أشار إلى ذلك في مواطن متعددة من كتابه، لكني أعجب من ذلك حيث إن عنوان الكتاب الهمشري شاعر (أبوللو)، وهو من وجهة نظري جانبه الصواب، فليس مجرد أن الهمشري قرأ كثيرا للشعراء الإنجليز أمثال بيرون، وشلي الذين تأثر بهم العقاد ومدرسته . يجعله ينسبه إلى الديوانيين، فشعراء (أبوللو)تثقفوا بالثقافة الإنجليزية إلى جانب الفرنسية، وتمثلوا هذه الثقافات أكثر مما تمثلها شعر مدرسة الديوان، ومجمل القول أن تأثير الشعر الانجليزي الرومانسي في شعراء (أبوللو)، أشد أثرا وأكثر وضوحا عنه في شعر الديوانيين

([5]) نازك الملائكة، قضايا الشعر العربي، ص307

٦) صالح جودت، محمد عبد المعطي الهمشري ،حياته وشعره، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة د.ت ص 217

في خِضَمِّ الأَفكارِ تَطوي بي الوَقـ تَ وَتَهفو إلى ضِفافِ الحَياةِ[1]

فالشاعر في رحلته جعل مجالها عالما آخر غير عالمنا، يشبه عالم المعري في رسالة الغفران، وعالم دانتي في الكوميديا الإلهية. وقد عرض فيها أحداثا خيالية، وجسد معاني تجريدية، وهو ينتهج في كل ذلك التعبير عن حزنه وقلقه، وفزعه من نهايته المؤلمة التي تتجسد في الموت، كما يعبر في الوقت نفسه عن مأساته الخاصة التي تتمثل في سوء حظه في الحياة، وخيبة أمله في الحب، وقسوة العيش في الدنيا،فراح يبحث عن كل ذلك في عالم الخيال، واستطاع بهذه الرحلة أن يجسم صراع الإنسان مع واقعه في صورة رمزية، وهي صورة الريح التي تعترض سير السفينة التي تحمله إلى شاطئ الأعراف .

واستخدم الهمشري في رحلته التعبير الرمزي، وحاول أن ينفصل عن واقعه، لكنه لم يستطع " فمهما ابتعد عنه، فهو في بعده يحيا (رؤيا حلم) ولا يعيش حقيقة واقعه، كأنه كان يرسم صورة نفسه في الخروج من المثال إلى الواقع الذي يرجوه بالموت، وهو ما كان له إذ انتهت حياته فجأة، وهو في ريعان الشباب[2]

ومجمل القول أن الاتجاه الفلسفي التأملي قد شكل في شعرهم ظاهرة أساسية، واستطاعوا أن يعيدوا إلى القصيدة التأملية في أدبنا العربي شأنها، كما كان لها من قبل عند القدامى، كالمعري وابن الفارض، ومحيي الدين بن عربي.

وبناء على التركيبة الخاصة للشعراء الوجدانيين التي ترى الحياة بمنظور قاتم؛ لافتراق تفصيلاتها عما نسجته قلوبهم لا عقولهم. فإن الموت" يصبح تارة روحا هائمة تهفو إليها نفوسهم، وغولا يثير مأساة كبرى تارة أخرى، وبعثا لحياة جديدة ثالثة"[3]

المبحث الثاني" الطبيعة مظهرا تشاؤميا "

اهتم الشعراء بالطبيعة وتوظيف ألفاظها والتعبير عن ذاتهم وبيان مشاعرهم، ورسموا الصور عن طريق التشخيص والتجسيد الذي طغى على قصائدهم، فأكثروا من استخدام الرمز؛ هروبا من المباشرة إلى التعبير الإيحائي، فتلاءمت التجربة الشعورية مع ما يتصل بمضمون القصيدة ومحتواها. وقد كانت ملكة التشخيص عند شعراء أبوللو نابعة من إيمانهم بوحدة عناصر الكون، تلك الوحدة المترابطة التي تشبه كيان البشر، وكانوا يعتقدون أن مظاهر الطبيعة رمز دال على وجود الخالق سبحانه وتعالى ، فهي إحدى دلالات خلقه. لذلك جعلوها متحركة ومتحدثة تدب فيها الحيوية والحركة، فتبدو كأنها أشخاص حية متحركة ترتبط بالذات ونزعاتها، الطبيعة ومكوناتها، فهي عالم رحب للشاعر يتأمله ويتفاعل معه، بل قد يأسره بأسراره ليجد نفسه متحملا عبء اقتناص ما به من جمال، سابغا عليها من إشراقات وجدانه وروحه، مستنفرا مشاعره الخاصة." إن إدراك الشاعر للأشياء في الوقت ذاته إدراك لأسرار روحه التي يحاول استكناهها، فتتسرب مشاعره وانفعالاته ممتزجة بعبق الطبيعة " [4]

ليست الطبيعة والحب جديدين على الشعر العربي، بل إنهما قديمان قدم الشعر ذاته، فمنذ بدأ الشعراء يقرضون الشعر وهم يرون عناصر الطبيعة ماثلة أمامهم شاخصة تخبر عن نفسها، فنقلوا ذلك إلى

---

١) الهمشري ، ديوانه، ص 15

٢) يسري العزب، القصيدة الرومانسية في مصر (1932-1952)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986، ص65

٣) د. عبد الكريم جعفر، رماد الشعر ، ص 112

٤) د. صلاح فضل، أساليب السرد، مركز الإنماء الحضاري، دار المحبة، حلب، دمشق، 2009، ص 97

قصائدهم.ومن ثم استمر شعر الطبيعة قويا؛ لكن الجديد فيهما عند شعراء الوجدان أنهما يمتزجان بوجدان الشاعر امتزاجا، يكاد يتحد فيه الوجود الخارجي بالوجود الداخلي؛ فتحمل التجربة دلالات أرحب من الدلالات المألوفة في التجربة العاطفية التقليدية، ويصبح للشعر مستويان: أحدهما مرتبط بحدود التجربة في الواقع الخارجي، والآخر ناطق بأشواق الحياة عامة، وإحساسه بالكون والحياة والمجتمع.[١]

ولا يستطيع الباحث إغفال دور شعراء المهجر الذين ساهموا بقوة من خلال إنتاجهم الغزير الذي أظهر امتزاجهم بالطبيعة وتوحدهم مع عناصرها، ولا يخفى ما كان لهم من أثر في شعراء مدرسة (أبوللو)، حيث انصهرت فيها الاتجاهات الأدبية السابقة عليها، والثقافات المتعددة الواردة من لدن شعراء العربية. فتم تعامل الشعراء مع الطبيعة المعنوية، والأشياء الصامتة كما يتعامل مع البشر أو الكائنات الحية الأخرى؛ فيضفي عليها صفاتها مستصحبا الظلال والألوان والحركة. يقول أبو ريشة: من بحر الخفيف

مأتمُ الشـمسِ ضجَّ في كـبدِ الأفق وأهـــوى بطـعـنةٍ نـجـلاء
عـصبّت أرؤس الروابي الحَـزانى بعصابٍ مـن جامداتِ الدماءِ
فأطلّت مِـن خِـــدرها غـادة الليل وتاهـت في مـيسة الخُـــيلاء
وأكـبَّت تـحـل ذاك العـصـاب الأرجـوانـي باليد السَّمراء
وعـيـونُ السَّمـــاء ترنـــو إليها من شقوق الملاءة السوداء [٢]

وهو يصور مشهد الغروب تصويرا عجيبا صَوَّر الطبيعة وهى تودع الشمس وداع الغروب، كل ذلك يعرضه والأشباح تطل عليه من نافذة الخيال الحالم.كما أن ألفاظ الشاعر ترصد حـــالة من القتامة؛ فالشمس التي من خصائصها النور والإشـــــراق صارت مأتـــما والمأتم يتـــسم بالسكـــون والحـــزن، واستخدم الشاعر لفظة ضجة دلالة علي الاضطراب وعدم الاستقرار وعبر باستخدام اللون الأسود الدال بطبيعته علي التشاؤم. يقول الشابي: من بحر المتقارب

وفي قصيدة "أوراق الخريف" مزج أبو شادي بين أحزانه وأحزان الطبيعة والتأمل. يقول: من بحر الكامل

هل كان نثرك غير إيذانٍ بعمرٍ قد تقضى
هل كنتِ إلا رمز أحلامٍ نفضن اليوم نفضا
مصفرة شأن الممات بحمرة تحـكي النجيع
فكأنما قتلتك أحـــكام الخـــريف بلا شـــفـيع
يرثيك قـبلي الطـير كـم أنـقـذته يا فانية
كم كنت ظـــلاً يتقى فيه العوادي القاسية

---

١) د. عبد القادر القط ،الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر، ص 11

[٢]عمر أبو ريشة، ديوانه، ص 518

ترثيك آلاف الأشعــة من غــرام كـم تجـلت
متكــسرات فــي دلال بالزمــرد قــد تـحلت [١]

وبتتبع شعراء أبوللو أجد أن للطير عندهم مكانة خاصة، فأجدها محومات في جل أشعارهم بين قصائد تفرد لها، وبين قصائد يأتي الطير في ثناياها بغزارة وتدفق. ولم يصفوها وصفا ظاهريا فحسب؛ إنما اختلطت بكيانهم حتى صارت جزءا منهم، وحملوها رموزا متعددة .

وللشاعر الوجداني ملاذ آخر يأوي إليه غير الطبيعة، إنه الماضي بما فيه من ذكريات ممتعة أو مؤلمة إذ يذكرون فيه أوقاتهم السعيدة وذكرياتهم العاطفية، يقول :علي محمود طه من البسيط:

آوي إلى جنباتِ الصخرِ منفرداً أبـكي لأمـسيةٍ مـرَّت وليلاتِ
قد غيَّرتنا الليالي بعدها سِيراً وخلفتنا العوادي بعضَ أشتاتِ
تلفّـتَ القـلبُ في ليلاءَ باردةٍ يـبكي لياليك الغُـرَّ المُـضـيئاتِ
وذكرياتٍ من الماضي يطالعُها بين الحقولِ وشطآن البُحـيراتِ
فَدَعْ فؤادي مَحزُوناً يرفُّ على ماضي لياليَّ وانعمْ أنت بالآتي [٢]

والماضي أيضا قد يكون متعلقا بماضي الأمة وما فيه من بطولات وأمجاد تاريخية، ويحقق الشاعر من التغني بها كثيرا من طموحه الذي يعجز عن بلوغه في مجتمعه الحاضر. ومن معجم الألفاظ المستخدمة الدال علي توظيف الشعراء للطبيعة والأخذ من مصادرها والتفاعل التام معها والنظر إليها نظرة فنية أعرض بعضا من هذه الألفاظ موضحا معانيها ودلالتها لدي الشعراء.

١ ـ السدم :السين والدال والميم أصلٌ في شيءٍ لا يهتدى لوجه، ومن ذلك البعير الهائج [٣]، يسمى سدما، أنه إذا هاج لم يدر من حاله شيئًا، كالسَّكران الذي لا يهتدي لوجهٍ وفي اللسان : سدم السَّدَمُ :النَّدَمُ والحزن .السَّدَمُ : الهَمُّ، وقيل: هو التعب، و السَّديمُ : الضبابُ الرقيق [٤] يقول الشابي: من بحر السريع

أما ترى الأسحارَ تبدو بها الغابات كالأحلامِ خلف السَّديم ؟ [٥]

وقال أيضا: من بحر الرَّمل : كانَ في قلبيَ فجرٌ ونجومْ فإذا الكـلُّ ظـلامٌ وسَـدِيمْ [٦]

والشاعر هنا استخدمها للدلالة علي الإبهام والتيه. لقد وصل التشاؤم بالشاعر إلى أن نظر إلى ظواهر الطبيعة نظرة تشاؤمية واضحة، حيث جاء من خلال دلالة البيت الدالة علي الألم والحسرة التي حوَّلت آمال الحياة إلى سديم وعناء؛ فالضباب إن كان كثيفا يحجب الرؤيا، ولا يستطيع الإنسان التواصل مع من حوله كأنَّه في تيه وحيرة، ثم يواصل مظاهر التحول فتتحول النجوم الدالة على منبع النور إلى سديم.

---

١) أبو شادي، ديوانه، قصيدة أوراق الخريف، ص 133
٢) علي محمود طه ، الأعمال الكاملة، ص 134
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص 149
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص 156
(٥) الشابي، ديوانه، ص 142
(٦) الشابي، ديوانه، ص 137

٢ -الزوابع : والزَّوْبَعُ والزَّوْبَعة" ريح تدور في الأرض لا يَقْصِد وجهًا واحدًا تحمل الغبار وترتفع إلى السماء" وهي من مظاهر الطبيعة التي وظفها الشعراء [١] قال الشابي: من بحر الكامل:

ورأيتـمـونـي طـائـراً مُـتـرنِّـماً فــوقَ الزَّوابعِ فــي الفَضاءِ النَّائي

فارموا على ظلّي الحجارةَ واختفوا خَــوْفَ الرِّيــاحِ الّهـوجِ والأنـواءِ

وهناكَ في أمـنِ البـيوتِ تطارحوا غَــثّ الحــديثِ وميِّتَ الآراءِ [٢]

ويقول من بحر الكامل:

ولَـرُبَّ صُـبْـحٍ غـائمٍ مُـتـحـجِّـبٍ فـي كـلّةٍ مِنْ زَعْــزَعٍ وغَمامِ

والرِّيحُ تخـفقُ فـي الفَضَاءِ وفي الثّرى وعلي الجبالِ الشّمِّ والآكــامِ

فأرى المبانيَ فــي الضّــبابِ كـأنّـها فِــكْرٌ بأرضِ الشّكِّ والإبهامِ[٣]

واستخدم الشاعر من هذا الأصل مشتقًا واحدًا هو" زعزعٌ "، للدلالة علي رياح القدر أو مشيئته، إذ جاء هذا اللفظ المركب" زعزع عقيم "متفقًا مع ما قالته العرب، ريح زعزع، أي الريح الشديدة، وهو بذلك اتَّفَق مع المعنى المعجمي، وفي هذا البيت يدلل الشاعر أنه يسير في حياة عمياء مقلقة كلُّها غموض، وهذا يتفق مع تشاؤمه في واقع حياته، فاستخدم هذا اللفظ؛ ليكون أكثر تعبيرًا من غيره.

3- سمم :السموم :الريح الحارة، لأنّها أيضًا تداخِل الأجسام مداخلة بـقوة السُّموم : الريـح الحارّة،

، والجمع سَمائم[٤] ،واستخدم الشابي من هذا الأصل كلمة" سَموم "للدلالة علي التعب والشقاء، فقال: من بحر المتقارب: إلى المَوْتِ فالموتُ جامٌ رَوِيٌّ لمنْ أَظْـمَأَتْهُ سُـمُومُ الفَـلاةْ

فما الدَّمعُ إلاَّ شرابُ الدُّهورِ وما الحُزنُ إلاَّ غِـذَاءُ الحَيَاةْ[٥]

لقد استخدم الشاعر هذه اللفظة مجازا للدلالة علي الشقاء، لأن شبح الموت كان يطارده في كل مكان فالمرض أثقله وأتعبه، إذ كان يرى في الموت راحة من تعب الحياة. يقول علي محمود طه: من المتقارب

سَقَتْها سمومُ شرايينه ورفَّتْ بها روحهُ العاتيَهْ

4- عصف :

العين والصاد والفاء أصلٌ واحد صحيح يدلُّ علي خِفَّةٍ وسرعةٍ. يقول الهمشري: من بحر الخفيف

وَخِلالَ الأَصداءِ صَوتٌ حَــنونٌ تائِهٌ بَيـنَ ضَــجَّةِ الأَنــواءِ

يَتَخَطّى عَصفَ الأَعاصيرِ وَثباً لا يُبالي بِهَولِ هذا الفَناءِ[٦]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ، ج7 ، ص 12

(٢) الشابي، ديوانه، ص 243

(٣) الشابي، قصيدة الغاب، ص164

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص 262

(٥) الشابي، ديوانه، ص 190

(٦) الهمشري، ديوانه، ص11

يقول أبو شادي: يشدو للطبيعة من بحر الخفيف

يا طريق الحزين غرد علي الغرس وسر بينه بروحي وحسي

يا صميم الحـــقول سر بي وخذني من وجود رهبته كل يأسي [١]

فالشاعر روحه مغتربة يائسة تبحث عن الأنس ويريد الرحيل من الوجود بأسره.

يقول حسن كامل الصيرفي: من بحر الكامل

أنا أنت لكل خبريني أتُرى أعـودُ إلى ربيعي

ترويك أمطارُ الشتاءِ إذا ارتويتُ مِن الدّموع [٢]

فهنا نلمس الحنين الجارف لحيوية الربيع والرهبة من غزارة المطُر التي تطارد الشجر، وكأنها تطارد الشاعر في الوقت ذاته فيقول

أنا أنتَ منفردٌ يُحيطُ بي السـكـونُ بلا ســـمير

لكن تُحـيطُ بك الطُّـيور كعهدك الماضي الزهير [٣]

والشاعر يستخدم عبارات مرهفة تصور اغتراب الروح، فهو منفرد يشكو الانعزالية، وقلة الصديق.

ويقول أبو ريشة من بحر الخفيف :

نهض الفَجرُ مُثقـلا يتلوَّى فوق صدرِ الطبيعةِ الخرساءِ

يتخـطى الربى وئيدا ويهمي بشتيت الأظلالِ والأنـداءِ[٤]

فالفجر عادة رمز للنور والحياة وانبعاث الأمل، أما لدى الشاعر فهو علي غير المألوف فقد صوره بإنسان مثقل قليل الحركة وأشار إلى الطبيعة بأنها جامدة خرساء لا تتكلم وهذا دليل علي نظرته التشاؤمية القاتمة. ولم يقتصر شعراء أبوللو على رصد الطبيعة وظواهرها بأسمائها في عناوين الدواوين فحسب، وإنما نجدهم يزيدون ذلك تأكيدا في عناوين القصائد داخل الدواوين ومثال ذلك: قصائد أبو شادي في ديوانه أنين ورنين، نجد قصائد عناوينها تحية الربيع، والخريف في حلوان، والنيل الباكي، وزنبق الوادي. وفي ديوان فوق العباب نجد لوعة الغروب،بيت العنكبوت، والفأر الطائر، والأشجار الشريدة، والصنوبر الكاذب، وسؤال النحلة، وفي ديوان الشعلة نجد دموع الشتاء، ووحي المساء، والنجوم، والطائر التائه، وعاصفة الربيع. وفي ديوان أنداء الفجر: قوس قزح، ولوعة الخريف. وفي ديوان من السماء نجد: الجدول المسحور، والصيف، والأمواج، وقطرات الندى، وفي ديوانه الشفق الباكي نجد: حديث البحر، والكناري السجين، والبحر الصاخب، والزهرة الذابلة، ومناجاة القمر، والزهر القتيل.

ومما ورد من ذلك عند محمود حسن إسماعيل في ديوانه (أغاني الكوخ)؛ القرية الهاجعة، والمساء، وأحزان الغروب، وراهبة الضحى. وفي ديوانه (هكذا أغني) نجد: دمعة في قلب الليل، ووطن الفأس،

---

١) أبو شادي، ديوانه، ص 222

٢) الصيرفي، ديوانه، ص 315

٣) السابق، ص 205

(٤) عمر أبو ريشة، ديوانه، ص 470

وراهب النخيل، وسنبلة تحتضر. وفي ديوانه (أين المفر) نجد: الزهرة اليتمية، وصلاة العشب، وعرافة الزهر، وبكاء الرماد، ونار الغروب، ومن خريف العمر. وفي ديوانه (قاب قوسين)؛ ساعة مع الكوخ، ونداء العطر، وبستان الخريف، وعلى ذراع الريح، وسارق الضياء. وفي ديوانه (نهر الحقيقة) نجد: مأتم الطبيعة، وأغنية الصحاري، وقاهر النهر.

ومما ورد عند علي محمود طه في ديوانه (الملاح التائه)؛ أغنية ريفية، وعلى الصخرة البيضاء، والأمسية الحزينة، والشاطئ المهجور، وعاشق الزهر، وإلى البحر. وفي ديوان (ليالي الملاح التائه) نجد: القمر العاشق. وفي ديوانه (زهر وخمر)؛ ميلاد زهرة، وزهراتي.وفي ديوانه (الشوق العائد)؛ جزيرة العشاق، وطاقة زهر، وإلى الطبيعة المصرية.

ومما ورد عند إبراهيم ناجي في ديوانه (وراء الغمام)؛ صخرة الملتقى، وخواطر الغروب، واستقبال القمر. وفي ديوانه (ليالي القاهرة)؛ المساء، والسراب في الصحراء، والخريف.

ومما ورد عند الصيرفي في ديوانه (صلواتي أنا)؛ ذكرى تعود مع الربيع. وفي ديوانه (النبع)؛ حكمة عصفور، وأنا والبحر، والنسمة المضطربة. وفي ديوانه (نوافذ الضياء)؛ بحيرتا الفيروز. ومما ورد في ديوان الهمشري؛ عاصفة في سكون الليل، والنارنجة الذابلة، وأغنية مسائية، وطلوع الفجر، ومسارح الشفق، وأنشودة الليل.

والذي دفعهم إلى هذا الموقف من الطبيعة أنهم كانوا منطوين على ذواتهم ضائقين ذرعا بما تضطرب به المجتمعات من حولهم فولعوا بترك المدن إلى الطبيعة، وكانت تحلو لهم الوحدة بين أحضانها؛ ليخلدوا إلى ذات أنفسهم، بعيدا عن شرور المدينة، وفرارا من تقاليد المجتمع تماما كما هرب الرومانسيون الغربيون. كما أنهم وجدوا فيها معبدهم ومثواهم ومهبط أهوائهم ومغناها، فأصبحت" الحرم المقدس الذي يلجأون إليه في ابتهالات روحية ضارعة" [1] وراحوا ينشدون في ظلالها السلوان والعزاء، ويبثونها أحزانهم ويناظرون بين مناظرها ومشاعرهم، فحديثهم عن هيجان البحر، إنما أرادوا تجسيد ما يضطرب في نفوسهم من ثورة وتمرد. كما أن حديثهم عن فصل الخريف، إنما كان تصويرا لمرض نفوسهم وأفول حياتهم وذبولها وانحرافها إلى خريف العمر.

المبحث الثالث " عدم الثقة بالنفس والناس "

أدت حالة التشاؤم بكل أسبابها ومظاهرها إلى ميل الشعراء للعزلة، وتفضيل جوها وفقدان الثقة بالمجتمع ومثال ذلك: الشاعر عمر أبو ريشة حيث نزع إلى الرومانسية بقوة بعد سفره إلى فرنسا؛ ليصطبغ شعره بمسحة مدرسة أبوللو، ليكون أحد أعضائها، فقال في قصيدة له عنوانها اقرئيها (أوراق ميت)، وهي مقطوعة قصيرة؛ لكنها حملت من الحزن والكآبة الشيء الكثير، فالموت قد تربع علي رأس هرم القصيدة (أوراق ميت) فماذا ننتظر من قصيدة أُفتتحت بهذا العنوان؟! لابد وأن نرى الكآبة والتشاؤم تتغلغل في ثنايا أبيات هذا النص، فها هو الشاعر يفتتح قصيدته قائلا: من بحر الخفيف

إنـها حجرتي لقد صدئ النسيانُ فـيها وشـاخَ فـيها الـسكوتُ! [2]

---

[1] محمود شوكت، مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر، (بحث تاريخي وتحليلي مقارن). دار الفكر العربي– القاهرة (د.ت)، ص 134

(٢) عمر أبو ريشة، ديوانه، قصيدة اقرئيها (أوراق ميت)، ص 205

فالنسيان هنا كالحديد الذي ترك في مكانه لسنوات حتى صدئ، دون أن تمد إليه يد لتحريكه، فلا صديق يسأل عن الشاعر، ولا قريب، ولا حبيب يؤانسه ويناجيه؛ فانتشر السكوت والصمت في أرجاء الغرفة، فأي جو هذا الذي يعيشه الشاعر؟! وأي كآبة تقطر منها؟ ويحاول الشاعر الخروج من أجوائه الكئيبة هذه، حينما يطلب من محبوبته الدخول إلى هذه الغرفة، فيقول: من بحر الخفيف ادخلي بالشموع فهي من الظلمة وكرٌ في صدرِها منحوتُ [١]

يريد للشموع أن تنير هذه الغرفة، فسماها (وكر)، والوكر مأوى الطائر إذا ما حُفر في جبل أو جدار، فتكون ظلمته شديدة، فالشاعر يقول بأن الظلمة المعنوية، استقرت في وجداني، وكأنها نُحتت فيه نحتا، فهل يُزال النحت من الجدار بسهولة؟! بالطبع لا، فحتى حينما حاول الشاعر أن يتفاءل بالشموع وضوئها ودفئها جاء وصفه وتشبيهه مُحبط موغل في الكآبة. ثم يقول الشاعر بعد ذلك:

وانقلي الخطو باتئاد فقد يَجْفَلُ[٢] مِنكِ الغبارُ والعنكبوتُ [٣]

يطلب هنا إلى محبوبته السير ببطء، فالغبار قد استقر في جنبات الغرفة، والعنكبوت قد انتشر في بيته وفي زواياها، وبهذا يُعلن الشاعر التعايش التام مع هذا المنظر الكئيب، الذي يدل علي حزنٍ دفين في أعماق الشاعر، ربما لوفاة محبوبته أثناء تواجده بلندن سبب في هذا الحزن العميق. ثم يخاطب الشاعر محبوبته قائلا : عند كأسي المكسور حزمة أوراق وَعُمْرٌ في دفَّتيها شتيتُ [٤]

فالشاعر يبث آلامه وأحزانه ومشاعره في أوراقه، ففي ثنايا هذه الأوراق خلاصة فكره ومشاعره وأحاسيسه وعمره المشتت الضائع، وهنا يلاحظ أن الشاعر قد وضع أوراقه عند كأسه المكسور، وكأنه يرى أن أجله قد اقترب، وهنا تحضر الرمزية عند الشاعر، فهذا الكأس المكسور يرمز به إلى انتهاء أجله يقول: احمليها ماضي شبابك فيها والفتونُ الذَّي عليهِ شُقِيتُ [٥]

هنا يظهر سبب شقاء الشاعر وألمه وتوجعه، وهذه الأجواء الكئيبة التي يعيش فيها، فالماضي السعيد، والحب القديم، هو الذي أوصل الشاعر إلى هذه الدرجة من الانكسار والكآبة، ومن منطلق اليأس يطلب الشاعر من محبوبته أن تأخذ هذه الذكريات القديمة، والتي أشقته وأشقت هذه الفتاة معه، ولكن أين تذهب بهذه الأوراق؟ يقول:

اقرئيها لا تحجبِ الخلدَ عَنِّي انشريها لا تتركيني أموتُ

اقرئيها ليبقى صَدَى ذِكراي يتردُ علي مَسامِعكِ [٦]

ففي تذكركِ بالماضي الذي جمعنا بقاء وخلود، فلا قيمة لهذه (المذكرات) إلا بكِ، ثم انشريها بين الناس، لأن فيها مشاعري وأحاسيسي، وبحجبها حُكم عليَّ بالموت، فالموت حقا –عند الشاعر- هو بانقطاع ذكره. وهكذا يختم الشاعر مقطوعته القصيرة، والتي يتقاطر منها الحزن والكآبة والتشاؤم، وذلك بكلمات مثل (صَدِئ النسيان– شاخ السكوت – الظلمة– الوكر– الغبار– العنكبوت – كأسي المكسور – شقيت–

---

(١) السابق، ص 205

(٢) أجفلت الريح التراب: أي أذهبته وطيرته، لسان العرب ج 11، ص 113

(٣) عمر أبو ريشة، ديوانه ، قصيدة اقرئيها (أوراق ميت)، ص 205

(٤) السابق، ديوانه، ص 206

(٥) السابق، ديوانه، ص 206

(٦) عمر أبو ريشة، ديوانه، ص 206

أموت) ويتمنى ألا يكون نسيا منسيا، وأن يظل صدى ذكراه حاضر في الوجدان متردد على المسامع والشفاه.

من خلال هذه النماذج التي سبق استعراضها، يتضح بجلاء، تلك النظرة الحزينة والكئيبة للحياة من شعراء مدرسة أبوللو.

ويقول أبو ريشة: في قصيدته غريب في بلادي" وهذا العنوان يثير الدهشة ويطرح تساؤلا لما يحمله من التضاد حيث يتمثل للمتلقي تساؤلات مجملها كيف يكون الإنسان غريبا في بلاده ؟! ويكشف عن هذا الغموض الذي يعترى العنوان مطلع القصيدة ونهايتها حيث يقول: من بحر الطويل:

وتسألني فيما الوثوب إلى الدِما ومثلك في فـجرِ الشبـاب طـروبٌ

فقلتُ لها خَـلي سَـبيلِي فإنـني أرى الموتَ لا تَخْفِى عليه دُروبٌ [1]

لقد بدأ الشاعر مطلع قصيدته بحوار وجرّد الشاعر من نفسه شخصية تحاوره وتسأله عن سبب رغبته في مجابهة الأعداء وهو في مقتبل العمر، مع الإشارة إلى كثرة الأعداء وقوتهم، لكنه لا يُلْقي بالا لما تقول؛ فالوحدة والعزلة أدت به إلى عدم الخوف من الموت وانقضاء الأجل. وأجمل ما في هذه الأبيات الحوار الدرامي الذي يعمد إليه الشاعر وتشخيصه للموت الذي يرى أنه لا يخطئ الطريق إلى أحد، ولا يمكن أن يتم التوصل إلى رؤية الشاعر إلا من خلال البيت الأخير حيث يقول: من بحر الطويل

أنا في بلادي بين قومِي وإخِوتِي غريبٌ وكم يشكو الحياةَ غريبُ [2]

فالشاعر يعانى الوحدة والعزلة حتى أثناء وجوده مع أقـــرب الناس إليه وهم أهـــله وعشيرته، وقد رسـم الشاعـر رؤيته بأسلوب حواري ويا لها من معاناة أن يشعربالاغـتراب.

ويقول الشابي: من بحر المجتث:

إنَّ الحَـيَاةَ صِـــراعٌ فيها الضَّعيفُ يُداسْ

الكونُ كـــونُ شـــقاءٍ الكـونُ كَـونُ التباسْ

سِـــيَّانَ عِـنديَ فـــيهِ السُّرورُ والابتئاس [3]

فالشابي يعلن المنهاج المتبع في هذه الحياة المتناقضة حياة الغاب التي يأكل القوي فيها الضعيف (الضعيف يداس)، ثم يثمثل الكون بأسره ومَن فيه من أنُاس والتباس أي حيرة وشك وقلـق وينتهي إلى أمر محدد وهو أن الشيء ونقيضه عنده سيان فهو لا يعبأ بسرور ولا بابتئاس وكـأنه يرصد حالة عبثية فقد فيها كل مقومات الحياة ولا يبالي بأي عنصر من عناصرها. ثم يواصل حديثه قائلا من بحر الخفيف:

إنني ذاهب إلى الغاب يا شعبي لأقضي الحياة وحدي بيأسي [1]

---

(١) عمر أبو ريشة، ديوانه، ص 240

(٢) السابق، ديوانه، ص 245

(٣) الشابي، ديوانه، قصيدة نظرة في الحياة ، ص 113

لقد فقد الشابي الثقة فيمن حوله من الناس بسبب تنكرهم له، وكذلك نقمته علي شعبه الذي تقاعس عن مقاومة الاحتلال في فترات كثيرة فقرر الرحيل إلى الغاب، حيث لا يوجد بشر مطلقا، بل الغابات حيوانات وطيور مما يصعب علي الشاعر التفاهم معهم وقرر قضاء الحياة منفردا وحيدا يائسا مما يحدث فالانعزال التام تمثل في مكان بعيد ولغات مختلفة. أكبر دليل علي عدم استطاعة الشابي أن يتكيف نفسيا واجتماعيا مع هؤلاء الناس الموجودين حوله.حتى بدأ يخاطب الطيور ويدعوها لمشاركته أحزانه؛فامتدت أواصر القربى بينهما نفسا وفهما ووعيا، ففي قصيدة مناجاة عصفور يطلب من طائره التغريد مخاطبا إياه بقوله: أنا مثلك أيها الطائر نفسا وروحا، إلا أنني أسير في ذلك الجسد الذي جعلني أشبه البلبل المتحطم المكسور ويظل في حالة مفارقة بينه وبين طائره؛ ليخرج نفسه من عالم الإنس إلى عالم الطير في الآفاق الرحيبة. يقول من بحر الكامل

يا أيُّها الشّــادي المُـغـرِّدُ هـهُـنا ... ثَمِلاً بِغِبْطةِ قَلْبهِ المَـسْرورِ

غَـرِّدْ فَـفي قَلبي إليكَ مَـوَدَّةٌ ... لَكِنْ مَــوَدَّةُ طــائرٍ مَأسـورِ

غَـرِّدْ ولا تُـرْهِـبْ يَمـيني إنَّني ... مِثْلُ الطّيورِ بمُهْجَتي وضَميري

لكنْ لَقَدْ هــاضَ التّرابُ مَلامــعي ... فَلَبِثْتُ مِــثْلَ البُلبلِ المَـكْـسورِ

أشدُو برنّاتِ النِّياحَــةِ والأســى ... مــشبوبةً بِعــواطِفي وشُعُــوري

غــرِّدْ ولا تَحْـفَـل بِقَلبــي إنَّهُ ... كالمِعْـزَفِ المُـتَحَطِّمِ المَهْجـورِ

لقد عني شعراء أبوللو بالطبيعة على نحو خاص، وتناولوها تناولا جديدا حين حققوا الصلة بين مظاهرها وبين نفوسهم فهذا محمود حسن إسماعيل يجعل الساقية قيثارة حزينة فيقول : من بحر السريع:

ناحت فلا الزهرُ على عوده ... ألقى عقود الطَّلِّ من جِيده

ولا مغني الطيرِ في وكره ... رقَّ لها وازوَرَّ عــن عُوده

ولا رثى المطرابُ في أيكه ... منْ ساجعِ الروضِ وغرِّيده [٢]

فالساقية تنوح نواحا حزينا يتجاوب مع ما في نفس الشاعر من حزن وألم، ولكن نواحها مخنوق.

الخاتمة ونتائج البحث

لقد قامت مدرسة (أبوللو) في تنشيط حركة الشعر وإبراز كثيرين من شعراء عصرنا الحديث فعملت على بعث الشعر الحي الصادق، المعبر عن الشعراء الشباب وطموحاتهم، وأتاحت لهم فرصة التعبير عن مكنونات أنفسهم وظهور شخصياتهم على الساحة الأدبية، كما رسخت أسسا ومفاهيم نقدية جديدة قريبة من روح العصر من خلال الآراء التي تبنتها والمفاهيم التي نادت بها، لقد عمَّق شعراؤها مجرى الشعر ووسعوا ميدانه واقتربوا به من الواقع الذي يحيونه، فضلا عما أضافوه إلى الشعر من تجديدات في شكل القصيدة ومضمونها وأسلوبها .

من خلال الدراسة السابقة وصل الباحث للعديد من النتائج من أبرزها

---

(١) الشابي، ديوانه، قصيدة النبي المجهول، ص 117

٢) محمود حسن إسماعيل، ديوان أغاني الكوخ ، ص44

إن شعراء مدرسة (أبوللو) كوكبة أدبية انطلقت تستلهم خصائص المذهب الوجداني آخذين منه ما يتفق مع مقاصدهم ورؤيتهم الفنية، وانطلقوا مبدعين لا متبعين، وما زالوا محتفظين بشخصيتهم الأدبية التي اكتسبوا خصائصها من الدين والوطن والمجتمع الذي عاشوا فيه، وقد حرصوا علي وحدة بناء القصيدة من خلال تكاتف العناصر المكونة للبناء.

وتمثل البناء في قسمين رئيسين : المضمون والشكل، اللذين تآزرا داخل النص الشعري، وانسجما معا في نظام خاص، تداخلت فيه المؤثرات؛ لتصنع هيكل البناء العام. فمن حيث المضمون كان المذهب الوجداني؛ وظهر واضحا من خلال كثرة الشكوى والشعور بالغربة، وإحساسهم بالألم الذاتي والألم الجماعي، فأدي بهم إلى قلق فكري خرجوا منه إلى التأمل في واقعهم ومستقبلهم، وبحثوا عن مهرب منه إلى عوالم الخيال. كما لجأ الشعراء إلى التراث باستنهاض مواقفه الجليلة، وامتزج الماضي بالحاضر؛ فتميزت القصيدة بالشمولية وبحثوا في الماضي عن مصدر المجد والعز بغية استنهاض الحاضر الذي يرونه متغيرا بوهن قوته، وقد كان هذا التوظيف سمة مميزة في تجديد بناء القصيدة وتلاحمها.

يبقى لهذه المدرسة ومجلتها الفضل في فتح آفاق جديدة في الشعر العربي وتوسيع مجالاته في الأسلوب وطريقة الأداء، وهذا يدفعني إلى القول عن مجموعة من التجديدات في هذه الجوانب تجديدهم في الشكل من خلال كتابتهم للشعر القصصي، والشعر التمثيلي، والشعر المرسل، والشعر الحر (التفعيلة)، وذلك من أجل حرية الشاعر ورحابة الأفق على عكس ما تم في الشعر القديم من الالتزام بالوزن والقافية. تجديدهم في المضمون،حيث تناولوا شعر التصوير،وأبدعوا في الموضوعات التي تناولوها بطريقة جديد مثل شعر الحب، وشعر الطبيعة، وغلب طابع الرومانسية فيما تناولوه من موضوعات، لقربها إلى نفوسهم متسمة بطابع التشاؤم . وفي الختام يوصى الباحث بمزيد من الدراسات الأدبية والنقدية لشعراء مدرسة أبوللو فهناك شعراء كثيرين لم ينالوا حظا وافيا من الدراسات الفنية لأشعارهم .

اولا المصادر:

(أ) القرآن الكريم

(ب) مجلة أبوللو (كاملة)

(ج) دواوين الشعر

1- إبراهيم ناجي (الدكتور الشاعر):

ديوان إبراهيم ناجي، دار العودة- بيروت 1980

2-أحمد زكي أبو شادي (الدكتور الشاعر)

ديوان من السماء. مطبعة جريدة الهدى- نيويورك. ط1: 1949

ديوان أنداء الفجر. مطبعة التعاون- الإسكندرية. ط2: 1934

ديوان فوق العباب. مطبعة التعاون- الإسكندرية. ط1: 1935

١ -حسن كامل الصيرفي:

ديوان الألحان الضائعة. مطبعة التعاون ـ الإسكندرية. ط1: 1934

٢ -أبو القاسم الشابي:

ديوان أبو القاسم الشابي. دار العودة ـ بيروت 1972.

٣ -صالح جودت :

ديوان صالح جودت. المصرية الأهلية الحديثة ـ القاهرة، ط1: 1934

٤ -عمر أبو ريشة

ديوان عمر أبو ريشة ، دار العودة ،بيروت 1998

٥ -علي محمود طه (المهندس):

ديوان علي محمود طه. دار العودة ـ بيروت 1986.

٦ -محمد عبد المعطي الهمشري:

ديوان الهمشري. جمع وتحقيق: صالح جودت. الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة1974.

٧ -مصطفى عبد اللطيف السحرتي:

ديوان أزهار الذكرى. مطبعة التعاون ـ الإسكندرية.ط1: .1943

10- محمود حسن إسماعيل:

ديوان أغاني الكوخ. دار العلوم- القاهرة 1935.

ديوان نهر الحقيقة. الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة. ط1: 1972.

ثانيا : المراجع العربية

١ -إيليا الحاوي، أبو القاسم الشابي (شاعر الحياة و الموت) دار القلم ، بيروت، لبنان 1975

٢ -رجاء النقاش، أبو القاسم الشابي، شاعر الحب والثورة ، دار القلم ، بيروت، لبنان ط1 1971،
٣ -ريتا عوض، أعلام الشعر العربي الحديث: مركز الإنماء الحضاري، دار المحبة،دمشق، 2009

٤ -صلاح فضل (الدكتور) أساليب السرد، مركز الإنماء الحضاري، دار المحبة، حلب، دمشق، 2009
٥ -عبد القادر القط (الدكتور)الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر دار النهضة العربية- بيروت 1981

٦ -عبد الكريم جعفر:

رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 2002

٧ -علي شلش (الدكتور)

المجلات الأدبية في مصر، تطورها ودورها، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة 1988

٨ -عبد العزيز شرف في كتابه الهمشري شاعر (أبوللو)(دراسة وقصائد) ط دار الجيل ، بيروت 1990م

٩ -فايز علي، الرمزية والرومانسية في الشعر العربي(دراسة للأبعاد الأسطورية) ، ط2003 ، د. ت
١٠ - فوزي عطوي، دراسات في الشعر العربي المعاصر (صالح جودت الشاعر والإنسان)، دار الفكر اللبناني،ط الأولى 1987م

١١ - محمد رضوان :علي محمود طه، شاعر الجندول وشعره المجهول، دار الكتاب العربي، القاهرة 2006 م

13-محمد عبد المنعم خفاجي(الدكتور) مدارس النقد الأدبي الحديث، ط الدار المصرية اللبنانية 1995
14- مصطفى عبد اللطيف السحرتي:

دراسات نقدية في الأدب العربي المعاصر.الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة 1979

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث. مطبعة المقتطف والمقطم- القاهرة 1948

15- نازك الملائكة ، الشعر والموت، قضايا الشعر المعاصر، بيروت ، دار الآداب 1968
16- يسري العزب(الدكتور) القصيدة الرومانسية في مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1986

Pessimism at the Apollo School

by
Mohammed Fadl Ahmed Issa

PhD student at the Faculty of Girls, Ain Shams University

Summary

The school (Apollo) in the revitalization of the movement of poetry and highlighting many of the poets of our modern era and worked to send a sincere poetry, expressing the young poets and aspirations, and gave them the opportunity to express the possibilities of themselves and the emergence of their personalities on the literary scene, as well as established new foundations and critical concepts close to The spirit of the times Through the views it adopted and the concepts it advocated, its poets deepened the course of poetry and expanded the field and approached him to the reality that they live, as well as the novelties in the form of poem, content and style. The pessimism prevailed among the poets of the Apollo School. The pessimism was as follows: First: Love of death and hate of life Second: Nature is pessimistic - Third: Lack of self-confidence and people

Keywords: Apollo School of Poetry - manifestations of pessimism - fear of the unknown - love of death - hatred of life - nature pessimistic manifestation - lack of self-confidence and people